التيارات الانتروبولوجية:

الإتجاه التطوري الإجتماعي: نبدأ بالطرح الداروينى الذي يشير إلى أن الإستمرار وبقاء المخلوقات في ظل التغيرات والتحولات البيئية، يتطلب حتمية التكيف مع الظروف الجديدة، من خلال صفات وقدرات تسمح لها بتحقيق الموائمة البيئية الضرورية الإستمرار والبقاء ومقاومة التغيرات الخارجية. وبذلك فإن الأكثر قدرة واستعدادا هم الذين يصمدون وغير معرضون للزوال، فالتطور هو التغير للتكيف الأحسن مع المحيط . [1]

وهذا ما يفسر خضوع الكائنات العضوية إلى مبادئ التطور والتكيف والصراع من أجل البقاء. ويستند تشارلز داروين Darwin Charles إلى مجموعة عوامل مؤثرة في عملية التطور الإجتماعي، أهمها: التحول، التوالد، التنازع على البقاء والبقاء للأقوى. حيث طبقت هذه المبادئ في تفسير نشأة وظهور النظم الإجتماعية، أين حاول علماء الإجتماع والأنثروبولوجيون تطبيقها على الإنسان العاقل لمعرفة مراحله التطورية .وبصورة عامة تم تدعيم هذه الأفكار ضمن الأبحاث العلمية التي أوضحت أن الحياة قد نشأت من البسيط إلى المعقد، فهي لم تنشأ دفعة واحدة، و الإنسان قد نشأ في سيرورة هذا التطور العضوي عبر البعد الزمني، خاصة فيما يتعلق بصفاته الهيكلية والمظهرية (الشكلية). [2]

.لقد تأثر أنصار الإتجاه التطوري بالتطور الأحيائي في الجوانب الثقافية والمادية والروحية، بحيث ربطوا بين عناصر الثقافة وبين مؤسساتها بشكل كلي، لكون الثقافة تشكل كيانا متكامل الأجزاء. لذلك من الضروري حسبهم المقارنة بين الثقافات البشرية عن طريق نظم تطورها أو مقارنة مؤسساتها ببعضها البعض، لأن البشرية لا تسير في وتيرة واحدة خلال عملية التطور الثقافي، وإنما في اتجاه متباين. لذلك فإن التنوع الثقافي بين الشعوب هو تطوري، الأمر الذي يلزم الشعوب الأقل تطورا في المستوى الثقافي، أن تلحق في فترة غير بعيدة زمنيا بالشعوب المتقدمة، لأن التقدم نحو الأفضل هو الغاية الأساسية من التطور العضوي والثقافي عند الإنسا، ويتمسك التطوريون الثقافيون الإجتماعيون بفكره أن البشر جميعا متساوون في وحدة التفكير والسلوك رغم اختلاف انتماءاتهم السلالية والثقافية. فكل الثقافات الإنسانية محكوم عليها بالتطور، وأن الفروقات البشرية هي نتاجا للأوساط الطبيعية والجغرافية. [3]

لذلك، فإن فكرة التطور الحضاري هي تطورا خطيا عموديا تصاعديا لما أنجزه الإنسان عبر مراحل حضارية مميزة بخصائصها، فالإنسان واحد في تركيبته وتكوينه النفسي والبيولوجي منذ أن وجد وتطور كمجموعات بشرية أولى متماثلة ومتطابقة. والإختلافات في القدرات والذكاء هي مرتبطة باختلاف

---

[1] - Robert Deliège: **Histoire de l'anthropologie**, (Ecoles, Auteurs, Théorie), éditions du seuil, Paris-France, 2006,p 16 .

[2]- -علي عبد الله الجباوي، **علم خصائص الشعوب-علم ألقوام**. التلوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق-سوريا، 2007م، ص325.

[3]- -المرجع نفسه، ص 328، ص329.

المعطيات الوراثية وأصل السلالات، وبالتالي لامجال للقول بالحتمية التاريخية، مادامت هناك إمكانية حدوث الوضعية الحضارية في أي فترة زمنية.

لويس هنري مورغان (Morgan Henry Lewis 1881-1818م)أنثروبولوجي ومحامي، بدأت دراسته على سكان الشمال الشرقيالأمريكي)الإيروكيز(الأصليـون، حيث لاحظ فيها بعد العديد من الزيارات، انتشار النظام الأمومي القرابي، الأمر الذي جعله يستفسر من المبشرين عن أشكال الأنظمة القرابية في المجتمعات التي يقومون في النشر فيها، فتمكن من المقارنة بين 250 نظاما قرابيا في العالم . ومن أهم إسهاماته خاصة من خلال زياراته الميدانية، أنه اكتشف تناقضا في العلاقات القرابية وواقعها الفعلي لدى الإيروكيز، إذ أن أبناء العم والعمة في هذا المجتمع، يطلق عليهم أشقاء وشقيقات. أما أبناء الخال والخالة فيسمون أبناء العم، الأمر الذي جعله يقوم بتحقيقات يراجع فيها نظام القرابة ومصطلحاته، كما سبق في 250 مجتمعا في العالم. وتوصل إلى أن أغلب الأنماط القرابية السائدة في المجتمعات الأخرى كانت موجودة ومنتشرة في مرحلة سابقة للوجود البشري ثم انقرضت. وبناء على ذلك، أعاد بناء تطور النظام القرابي على أربعة مراحل .اتسمت المرحلة الأولى بعدم وجود نظام للمحرمات، فالإخوة والأخوات والابناء والأولاد كانوا أزواجا وزوجات، بمعنى سيادة الإختلاط الجنسي في شكل قطيع بدائي. وكانت المرحلة الثانية هي بداية تحريم الزواج من الفروع والأصول مع استمراريته من الإخوة والأخوات، بحيث يتماثلون كأزواج وزوجات. لكنه تم منع هذا الزواج المختلط للإخوة والأخوات في المرحلة الثالثة، لكن من نسل الام فقط، ليمتد بعد ذلك للإخوة والأخوات من جميع الحواشي، وبذلك يصبح الرجال أزواجا لنساء لسن أخوات والنساء زوجات لرجال ليسوا إخوة، مع بقاء النسل من جهة الأم، وهو النمط المنتشر في مجتمع الإيروكيز. وتأتي المرحلة الرابعة، أين تحول النسب من الأم إلى الأب، نتيجة ظهور نظام تربية المواشي والزراعة وتحول الملكية إلى الر جل، فانتقل المجتمع من النظام الأمومي إلى النظام الأبوي. ومع تطور هذا النظام، برز النظام الزواجي الحديث.[4]

وعموما، فإن مايمز "لويس هنري مورغان"، أنهه معاينا مباشرا لعادات السكان المحليين ، بما ساعده ذلك على تأكيد فكرة الأصل المشترك، خاصة فيما يتعلق بالبراهين التي جمعها واستخلصها من مصطلحات القرابة، والتي رتبها إلى مجموعتين: أنساق القرابة غير الأحيائية" القرابة، بمعنى معرفة اجتماعية، وأنساق قرابة وصفية، وحسبه، فإن تاريخ البشرية قد مر بثلاثة مراحل متتالية هي الهمجية، البربرية والحضارة، وذلك من خلال أو بفعل التغيرات التقنية والإقتصادية والتحولات المؤسساتية. لكن أفكاره هذه لاقت العديد

---

[4]- -خواجة عبد العزيز بن محمد، **الأنثروبولوجيا الإجتماعية والثقافية- محاضرات موجهة لطلبة العلوم الإنسانية والإجتماعية**، جامعة غرداية- الجزائر، 2014-2015، ص40، ص41.

من الإنتقادات أهمها اعتماده على التخمين دون حجج أكيدة. فضلا عن مبالغته في وصف وتصنيف الشعوب. [5]

أما إسهاماته فيما يتعلق بتطور المجتمعات الإنسانية، فقد أدرجها في ثلاثة مراحل، حيث تمثل كل مرحلة نمطا ثقافيا تقاس على أساسه أشكال العلاقات والنظم السائدة، وحسب اعتقاده، فإن كل المجتمعات تمر بنفس السيرورة المرحلية التي رسمها لتطور المجتمعات البشرية. فضال عن أن كل مرحلة تحوي بداخلها مراحلها الفرعية الخاصة بها .ويرى لويس هنري مورغان أن بداية هذا التطور تكون مع مرحلة التوحش أو الهمجية، والتي يصنفها إلى مرحلة توحش دنيا-وسطى-عليا. حيث تمثل مرحلة التوحش الدنيا الطفولة الإنسانية الشبيهة بالحياة الحيوانية، أين كان الطفل يتغذى على النباتات والثمار التي يلتقطها ويجمعها، وهي غير متواجدة حاليا. ثم تأتي مرحلة التوحش الوسطى، وهي أكثر تقدما من الأولى، أين بدأ يكتشف هذا الكائن الحي الطبيعة واستغلالها لتلبية حاجاته البيولوجية من أجل المحافظة على بقاءه، مثل اكتشاف النار واستعمالها لطهي الطعام وإنارة كهوفهم. ثم تطور أكثر في مرحلة التوحش العليا، والتي اكتشف فيها كيفية الإعتماد على نفسه وتحقيق تكيفه مع البيئة المحيطة به، فأصبح يصطاد طعامه بنفسه، وانتقل من جامع للطعام إلى منتج لغذائه .ومن مرحلة التوحش إلى مرحلة البربرية التي انتقل فيها الإنسان إلى إبداعات جديدة في الإنتاج والتصنيع، وبالتالي الخروج من عزلته وتشكيل الجماعات الإجتماعية. وهي بدورها تنقسم إلى مرحلة بربرية دنيا، وسطى، عليا. ففي المرحلة البربرية الدنيا بدأ بصناعة الفخار وطور إبداعاته للتكيف وتحقيق أكبر تفاعلات جماعية ممكنة. ثم انتقل إلى المرحلة البربرية الوسطى التي تخصص فيها بصناعة الآلات والأدوات المعدنية وبداية الكتابة الصورية، والتي تحولت فيما بعد في المرحلة البربرية العليا إلى كتابة حرفية تسجل فيها مختلف الصيغ الكلامية الإبداعية لهذا الإنسان .ومن التوحش والبربرية إلى المرحلة المدنية، أين تم اختراع الحروف والكتابة والفن والصناعة. و تتواجد هذه المرحلة لحد الآن، والممثلة خاصة في أوروبا. وبهذا تكون هذه المرحلة هي آخر مراحل الإنسان حسب مورغان. [6]

- إدوارد برنت تايلور(Taylor Burnett Edward1832-1917م)ذكره علماء النفس والمؤرخين والفلاسفة وعلماء الحياة وكل المهتمين بالسلوك والفكر البدائي، بما عزز أهميته في الحقل الأنثروبولوجي. لقد ركز تايلور على الطريقة المقارنة بين بيئات مختلفة بفعل العوامل التطورية. كان شغوفا لدراسة الثقافة في قلب المدن الكبرى، فضال عن شهرته بالجرأة والتميز مقارنة مع من سبقوه في الحقل الأنثروبولوجي،

---

[5]- روبرت لو ي، **تاريخ الإثنولوجيا من البدايات حتى الحرب العالمية الثانية**. ترجمة نظير جاهل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، 1992م، ص49.

[6]- -المرجع نفسه، ص42، ص43.

بحيث ساعده شغفه وميوله العلمي والمعرفي على الخوض في العديد من المسائل غير المتناولة من طرف علماء الأناسة .

تعتبر أعماله ومجهوداته المتميزة والموهوبة، بمثابة ثورة في حقل العلوم الإجتماعية بصفة عامة، والانثروبولوجيا بصفة خاصة. حيث مهدت مجهوداته وثراءه المعرفي في التأسيس العلمي لعلم للأنثروبولوجيا والإثنولوجيا، كما يرجع الفضل أيضا في هذا التأسيس العلمي للعديد من الرحالة والباحثين . تناول تايلور بالتفصيل تطور المعتقدات الدينية، حيث توصل في دراساته وأبحاثه إلى أن الإنسان الأسترالي يؤمن بوجود الجسد والروح، وعند الموت تبقى الروح حية. وبالتالي، فالإنسان لجأ إلى معرفة الروح من خلال بحثه وتساؤله عن الفرق بين حالة الإنسان وهو نائم وبين حالته وهو مستيقظا، وما هو الفرق بين الموت والحياة؟، وما هي الأسباب التي تكمن في الأحلام؟ وما الفرق بين حالتي الإنسان في الحزن أو الفرح؟ .فمثل هذه التساؤلات أدت إلى الإعتقاد بوجود روح وجسد الإنسان، وتعدى الأمر إلى الإيمان بالأرواح لدى جميع الكائنات الحية وغير الحية. [7]

وينقسم الإيمان بالأرواح في رأي تايلور إلى مرحلتين أساسيتين هما: مرحلة الإيمان بالأرواح الدنيا، والتي تعني باستمرار الروح بعد الموت، فهي ترتبط بطبيعة الأعمال التي قام بها قبل مماته. ومرحلة الإيمان بالأرواح العليا، أين يعتقد الإنسان بأن روحه هي المسؤولة عن أعماله في حياته بعد الموت. وهذا ما يفسر ما مرت به مرحلة التطور الثقافي الروحي، بحيث ميزها تايلور حسب المعتقدات الدينية إلى ثلاث فترات مرحلية، تبدأ بالإيمان بالأرواح وقدسيتها، ثم الإيمان بتعدد الآلهة (لكل قبيلة إله خاص بها)، وبعدها مرحلة الإيمان بإله واحد قادر على كل شيء . [8]

ومن خلال مؤلفه "الثقافة البدائية" فقد عرف الثقافة ككل معقد بضم المعرفة والعقائد والفن والأخلاق، والقانون والعادات وطرئق عيش الإنسان في المجتمع.

فالثقافة هي عنصر أساسي في فهم تاريخ الإنسان كظاهرة تاريخية تميزه عن غيره ويتعلمها من مجتمعه، فهي انعكاسا لتطوره داخل المجتمع ضمن عاداته وتقاليده. وبهذا يكون تايلور من الأوائل الذين أدخلوا مفهوم الثقافة بمعناها الواسع للأنثروبولوجيا، متجاوزا بذلك المعنى الضيق الذي يقصي كل شرائح المجتمع، فالثقافة حسبه هي دائما ثقافة جماعة- مجتمع .

وعلى ضوء هذا التحليل الثقافي، توصل تايلور إلى نمو الثقافة التي أخذت في الإنتشار من خلال الأدوات المنتشرة في المجتمعات القديمة. بمعنى أن ما نتعلمه من جيراننا على حد تعبيره، أكبر مما نخترعه بأنفسنا

---

[7]- -علي عبد الله الجباوي، **علم خصائص الشعوب-علم الأقوام**. التلوين للتأليف والترجمة والنشر، دمشق-سوريا، 2007م، ص337 .
[8]- المرجع نفسه، 338.

وبأيدينا. فالفخار مصدره المكسيك، لكنه انتشر في أمريكا، القوس والسهم و الشطرنج مصدرهم الهند ثم انتشروا في أمريكا والمكسيك. لكن ما يلاحظ على هذه التحليلات، أنها متناقضة مع انتماءاته، فرأيه أقرب إلى النزعة الإنتشارية. (وهو كغيره من التطوريين، درس نظام القرابة والكوفادة*[9]). حيث بحث فيما يسميه بنظام الزواج الإغترابي المحلي ونظام الزواج من نسب الأم (ابن الخال والخالة).

وبالرغم من تبنيه النزعة التطورية في الإنتقال من البسيط إلى المعقد ومن الإتجاه السفلي إلى الإتجاه العلوي، ومن اللامعقول إلى المعقول، إلا أنه يعترف بوجود ستاتيكا نسبية في هذا التطور تمنع حدوث التغيرات المطلوبة، خاصة ما اكتشفه في النظام الأمومي والأبوي. فبالرغم من أن النظام الأمومي أقدم من الأبوي، لكن يوجد بينهما نظام وسيط يختلط فيه النظامين، وهو نظام الكوفادة الذي يعكس بقايا النظام القديم في مضامين النظام الجديد السائد .ومما يلاحظ على مساهمات تايلور في مجالات علم الإسان، انه لم يذكر آليات تطور النظم الإجتماعية أو كيفيات هذا التحول التاريخي. كما أنه لم يتقيد بالنزعة العلمية الموضوعية في دراسة المعتقدات الدينية .

تمثل طقوس الكوفادة بقايا ثقافية تشير إلى وجود الشكل السابق في أحشاء الشكل القائم، فهي مرحلة وسطية بين النظام الأمومي والأبوي .

*- تمثل طقوس الكوفادة بقايا ثقافية تشير إلى وجود الشكل السابق في أحشاء الشكل القائم، فهي مرحلة وسطية بين النظام الأمومي والأبوي